

## ٢ - جامعة الاسكندرية \*

بقلم الأديب ابراهيم جمعة

علماء الجامعة في عصرها الأول - فليطاس القوصى - زنودوتس -  
زيارة ميناندر الأثيني وافتتاح مسرح الاسكندرية - اكتشاف فيلون  
للبحر الأبيض الجنوبي - دراسة ماينتو وتيموثيوس وميكثاس  
للقائد المصرية القديمة - اقليدس وهيرونيولوس - سوتر يكلف  
بالدراسة والتصنيف آخر الأمر - قيمة كتاباته - الفن -  
أخذ الايطاليين عن الاسكندرانيين

يميل الباحثون الألمان إلى نسبة هذه الجمهرة من العلماء  
إلى بطليموس الأول المعروف باسم بطليموس سوتر، وهو الذي  
يعتبره « سسميل » صاحب الفضل الأوفى في خلق حركة فكرية  
أدبية علمية في الاسكندرية قام هو بمحايتها، وترأس مجالسها،  
وأسنى إلى المناقشات الشديدة الاحتدام التي خلت في بعض  
الأحايين من الفائدة العلمية، فأصبحت جدلاً شخصياً لا طائل تحته  
عهد بطليموس سوتر بتربية ابنه « فيلادلف » إلى عالم ذاع  
صيته في ذلك العصر هو فليطاس القوصى، وهو شاعر ينسب  
إليه أول مجهود أدبي عرفته الاسكندرية في الشعر الزماني، بل  
أول مجهود عرفه العالم أجمع من هذا النوع من الشعر، وهو إلى  
هذا من أشهر علماء اللغة الاغريقية الذين صنفوا فيها، ووضعوا  
لها موسوعة كبرى حوت كل مصطلحاتها

هذا وقد تابع زنودوتس البيزنطى التأليف والتصنيف في قواعده  
الاغريقية، وقام بمجهود يشكر في مراجعة تخلفات « هوميروس »  
ويحتمل أن يكون بطليموس سوتر هو المؤسس لمسرح  
الاسكندرية، وأن تكون دعوته « لميناندر الأثيني » بقصد  
حضور حفلة افتتاح المسرح الكبير وشهود بعض رواياته التي  
وضعها في أثينا تمثل في الاسكندرية؛ وقد كانت زيارة ميناندر  
للالاسكندرية تطويقاً لجيد الجامعة بأئمن درر العصر، واعترافاً  
بالكافة الناشئة والنجاح الظاهر الذي صحب جهود البطالسة  
الأوائل في توفير جو علمي من الطراز الأول لمدينتهم الجديدة

وكل سوتر إلى أمير البحر « فيلون » أمر التجوال في  
البحر الأحمر قصد الوصول إلى أطرافه الجنوبية؛ وقد وفق هذا  
إلى اكتشاف البحر الأحمر الجنوبي، وكان لهذا الاكتشاف أثره  
في عصر بطليموس فيلادلف ومن خلفه في التجارة وفي تزويد

أن يُشكل أمه؛ أو يورثه ولده، أو يرمل زوجته، فليقتني  
وراء هذا الوادي ! »

قال على رضى الله عنه : فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين ،  
علمهم ما أرشدتم ، ثم مضى لوجهه

- ٥ -

سيقول قائل : ما لعمر يعان هجرته ، ويمشى على رؤوس  
الاشهاد من سنانيد قريش ، والنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه  
أبو بكر رضى الله عنه يهاجران مستخفين ؟ أ يكون عمر أشجع  
من النبي ومن أبي بكر ؟

لا والله ، ما هو بأشجع منهما ، ولقد وقف عمر بين يدي  
النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعد لم يسلم ، ولم يجيء إلا ليقتله ،  
فلما أمسك بتلابيبه وتره ، سقط على الأرض ، على قدم النبي ،  
وهو يرتعد من هيئته صلى الله عليه وسلم . وكان الصحابة - وفيهم  
عمر - إذا جد الجد ، وحى الرطيس ، ودارت رحى الحرب ،  
استمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم واحتموا به . ولما كانت الردة  
ورمت العرب عن قوس واحدة ، وخاف الصحابة وخاف عمر ،  
وأرادوا المسألة والملاينة ، قام أبو بكر وحده في وجه العالم  
وسارعه حتى صرعه . فكان عمر يعرفها له أبداً ... فللام إذن  
هاجر عمر جهاراً نهاراً ؛ وهاجرا مستخفين ؟

إن في الأمر لسراً ، هو غير الشجاعة والجلين ، ذلك أن  
القائد الصام عندما ينتقل من جبهة من جبهات الحرب إلى  
جبهة أخرى ، لا يقف في الطريق على عدو ، ولا يلقي حرباً ،  
وإذا رأى نفر من الأعداء ، يستتر منهم ، وينأى عنهم ، لأنه  
إذا سلك سبيل الشجاعة الساذجة ، وأقبل عليهم يقاتلهم ، ضيع  
الجيش الذي ينتظره ، ولا يعمل إلا به ، وخسر المعركة الكبرى  
لينتصر على نفر من الأعداء في معركة على الهامش ، ثم إن فراده  
لا يمد جيتاً ولا معجزاً ، وإقدامه لا يمد شجاعة ولا استبالاً  
ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القائد الأكبر ، لا في  
حرب قريش أو هوازن - فما قريش ؟ وما هوازن ؟ ولكن  
في حرب الشرك والجهل والظلم ، في الحروب التي تمتد أبداً بين  
الحق والباطل ، فلا يدافع عن الحق قوم إلا كانوا تحت راية محمد ،  
فهل يدع سهمته الكبرى ، لينتشر على نفر من قريش ؟

ذلك هو سر الهجرة

(لم ينته الفصل)

عن الطنطاوى

الجامعة بأبحاث عظيمة القيمة ستأتى على ذكرها في موضعها -  
كما عهد سوتر أيضاً إلى هيكتاتيس الأبدري ، ومانثو ،  
وتيموثيوس أمر دراسة (الميثولوجيا) المصرية القديمة ، ابتداءً ترويد  
الأمبراطورية البطلموسية الناشئة بما يحتاج إليه كيانها من العقائد  
\*\*\*

والحقيقة أن كل هذه الجهود هي دون ما بلغته جامعة  
الاسكندرية في هذا العصر من التفوق في الهندسة على يد أستاذها  
الأكبر « اقليدس الاسكندري » وفي التشريح على يد أستاذه  
الغد « هيروفيلوس »

واقليدس أشهر معلمى هذا العصر اطلاقاً ، وهو أبو الهندسة  
كما يقولون ، مؤسس مذهب البحث العلمى ؛ وكتابه « الأصول »  
أعاط في صميم النطق أكثر منها موضوعات في الرياضة ، واليه  
يرجع الفضل في جعل عصر سيده بطليموس سوتر عصر تفوق رياضى  
عظيم الشأن ، كان ولا يزال له أثره في تقديم العلم والعقل البشرى  
وكان « هيروفيلوس » أباً للتشريح ، كما كان « أبقراط »  
اليونانى أباً للطب من قبل ، وبفضل هيروفيلوس سجل التاريخ  
لمعنى سبق في دراسة ( الأمعاء ) دراسة دقيقة ، وكانت  
الحكومة تعدد بالجرمين المقتضى عليهم بمقوبة الاعدام ليجرى  
فيهم تجاربه - كما أمده حظيرة الحيوان اللحقة بالتحف بأنواع  
من الحيوان شرحها ودرسها واستنبط من كل ذلك طريقة علمية  
للتشريح ساعدت بدورها على رفع شأن الاسكندرية في العلوم الطبية  
وتأزرت جهود هذا العالم وجهود اقليدس على خلق مكانة  
للإسكندرية ظلت مقترنة باسم المتحف الاسكندري حتى وقتنا هذا  
\*\*\*

ويجدر بنا أن نذكر أنه بينما كان الاسكندريون مشغوفين  
بمباحث العلم البحت في الرياضة والطب وما شاكلهما ، كان  
الأتينيون مشغولين بدراسة الفلسفة من رواقية وأبيقورية ،  
أما اشتغال الاسكندرية بالفلسفة فقد جاء متأخراً حين أسس  
فلاسفتها مذاهبها الخاصة التي أشهرها الأفلاطونية الحديثة  
وسنعرض لها في بحثنا هذا بكثير من التفصيل  
\*\*\*

كانت لبطليموس سوتر شواغل سياسية الى جانب انهماكه  
في رفع شأن الاسكندرية ، وأهم تلك الشواغل منافسته لديمتريوس  
ملك مقدونية ، لانتزاع السلطة البحرية على البحر الأبيض  
الشرقى من يده ، وما لبث حتى انتزع قبرس من الملك المقدونى  
وجعلها مركزاً لأسطوله ، وغلقت له بهذا سيطرة غير منازعة

على المياه الشرقية من البحر الأبيض . وكان من شواغله أيضاً  
رغبته الملحة في نقل جثمان سيده « الاسكندر » الى مصر ، ابتغاء  
الفخر بمجازاة جثمان الماهل العظيم ، ولم يهدأ لسوتر بال حتى تم  
له ذلك ، وبهذا خلا نهائياً من مشاغله الخارجية ، وخصص كل  
عنايته بعد ذلك للمكتبة والمتحف اللذين نالا من ماله وانتباهه  
الشيء الكبير . ومن أمره أنه شغف مع المشغوفين بالدراسة  
والتصنيف ؛ ومن المعروف عنه أنه وضع مصنفات في حروب  
الاسكندر الأكبر التي ساهم فيها كأحد قوادها . ويصف (أريان)  
مؤلف سوتر بأنه من أدق المراجع وأوفاهها في هذا الشأن ، ويضمه  
في رأس كتب المراجع التي صدر عنها تاريخه ، وقد يكون هذا  
حقاً ، كما قد يكون ملقاً للملك المؤلف

والمذكرات الخاصة التي يضعها القواد عن أعمالهم في الحروب  
يطلب عليها البالغة ، وحسن تقدير تلك الأعمال وتعظيم نتائجها  
مما قد يكون إغراقاً وتورطاً في الباطل ، وهي لهذا لا يصح أن  
تتخذ سنداً من أسانيد التاريخ إلا بكثير من الحيطه والحذر .  
وينسب الى نابليون الأول شيء من هذا في مذكراته التي كتبها  
عن نفسه ، ولم يتحرر يوليوس قيصر من مثل ما ينسب الى  
نابليون في مذكراته عن « الحرب الغالية »

ويذكر أن سوتر كتب أيضاً عدة رسائل من الشؤون العامة  
في عصره نشرها « ديونيمو دورس » أحد تلاميذ « أرسطارخاس »  
العالم الاسكندري ، يؤسفنا أننا لم ننعثر على شيء منها حتى الآن  
\*\*\*

وفي أواخر أيام سوتر كان لا بد له من تسوية مسألة وراثه  
المرش ، إذ كان له أكثر من وريث ، وكان أكثر هؤلاء الوراث  
خطراً على المرش البطلموسى « بطليموس » ابن له من يونانية ،  
أخذ ديمتريوس ملك مقدونية الموتور يشد أزره ويناصره على  
بطليموس « فيلادلف » . وكان النزاع بين هذين الوريثين نزاعاً بين  
روحين مختلفتين : روح مصرية ، وروح يونانية ؛ وكان انتصار  
إحداها على الأخرى انتصاراً لأحدى الروحين ، وتحديداً لمستقبل  
البلاد . وكان ميل الملك الأب مع ابنه فيلادلف ، وكان هوى  
الضمب مع الأخير إذ كاه للروح القومية الجديدة التي بدأها وارث  
ملك الاسكندر في مصر سوتر العظيم ، وإنهاضاً لمدينة هليونية  
الأصل حقاً ، ولكنها من حق الاسكندرية ، ومن جهدها  
وإحيائها . كان الملك الأول يأنس في الملك الابن فيلادلف سياسة  
مشابهة لسياسته ، أساسها المحافظة على الصبغة المشتركة التي جمعت

في متحف القسطنطينية لملك مجهول الامم من ملوك صيدا ، هو تحفة من تحف الحفر وحذق الألوان ، وتلك الشاهد التاريخية التي ترى محفورة على الأحجار تمثل المارك بين الفرس والاعريق ، إلى تلك الصور الرمزية التي قصد بها الاشارة إلى امتزاج الشرق والغرب عن طريق الحضارة الاغريقية ، إلى مناظر الصيد وغير ذلك مما لا يفوقه سوى « البارثون » في أثينا

وأغلب الظن أن الاسكندرية بما توفر لها من سمو المكانة لا بد أن تكون قد استهوت أمهر البنائين ، ورجال الفنون حيث بلاط سوتر وفيلادلف وعطاؤها المندق لكل من برز في ناحية من النواحي ؛ ولا شك أن الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط لم تكن إلا من خلق هؤلاء الفنانين وإبداعهم

وقد كتب م . شريبر مقالاً ممتعاً عن فن نشأ بالاسكندرية وتقدم فيها ، وانفردت به ، هو صناعة الأواني الذهبية والفضية التي تتخذ عادة مقياساً لتقدم الحرف اليدوية ، والتي لا تزال شاهدة على قولنا بين محتويات دور الآثار . ويحاول هو أن يثبت أن الاسكندريين كانوا الأساتذة في هذا المضمار وفي غيره . فن رأيه أن أسلاف « بنفتو سلبى » الايطالي ، والمدرسة الايطالية التي زعيمها هذا الأخير حاكت فن الاسكندرية في الشعر والفن . وهو يدل بقوة على حب الاسكندريين للطبيعه وتقديرهم لروائدها ، وعلى أن الاسكندرية كانت حلقة الاتصال بين العلم والفن ، وبين القديم والحديث ، وبين الشرق والغرب .... الخ

ليس الفن في ذاته ناحية من نواحي نشاط جامعة الاسكندرية ، ولا هو عادة يتصل بالدراسة الجامعية اتصالاً مباشراً ، ولكننا سقنا هذه الكلمة القصيرة عن الفن الاغريقى الاسكندري ، لأنه جانب من جوانب المدينة ، كان يستلزم من الاسكندريين . ولا شك إلماً بالأسول الهندسية التي لا فنى لفن العمارة عنها . ونحن وإن كنا لم نحصل على ما تقطع الرأى به من أن الهندسة التي اشتهرت بها الاسكندرية منذ عهد اقليدس كانت تطبق ويستفاد منها عملياً في فن العمارة ، إلا أننا نرجح إمكان استفادة الفن من هندسة اقليدس استفادة كبرى

ولنا في بعض مقالاتنا التالية عود إلى نقل إيطاليا وخاصة جامعة « بدوا » في العصور الوسطى عن جامعة الأسكندرية نظامها والكثير من تراثها الفكرى حيث شاع منها إلى أوروبا من قطر إلى قطر ومن عصر إلى عصر .

إبراهيم جمعة

( حقوق النقل محفوظة لصاحب المقال )

بين اليونانية الهلينية والمصرية الفرعونية ، والتي حرص البطالسة على التمسك بها كأساس للكمهم الجديد ، لا مناص منه ، إبقاء على دولتهم من أن تنبذ

والذى يتأمل كيف عنى سوتر بتربية ابنه فيلادلف على أيدي خبير الأساتذة ، يرى كيف كان يحرص على أن ينتهى ملكه إلى هذا الورث دون سواء ، وقد كان أن نزل سوتر لابنه فيلادلف عن العرش ، ولكنه ظل يظهر في بلاط ابنه مدة عامين كأحد الرعايا ، ومات عام ٢٨٣ ق . م غلغفا على الزمن سجلاً حافلاً بالحوادث الجسام قل أن تتوفر لحاكم

استطاع سوتر أن يركز دراسة العلوم والآداب والفلسفة وإلطب في عاصمة ملكه ، ولكن هل استطاع أن يجعل الاسكندرية كعبة الفنون في هذا العصر ؟

إذا كان لنا أن نحكم بالشواهد التي بين أيدينا وهي تلك النقوش البديعة التي ترى فوق العملة المتخلفة عن هذا العصر في دور العاديات ، لما تأخرنا عن الحكم قطما بتقدم الفن في ذلك العصر ؛ غير أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا ونحن في هذا الصدد أن الفن الاغريقى كان عليه أن يبالغ فنا من أقوى الفنون التي عرفها تاريخ العمارة هو الفن الفرعونى . والشاهد بوجه عام أن الباني التي أقامها البطالسة خارج الاسكندرية روى فيها أن تكون فرعونية الصبغة ، ولكنها لم تخل من التأثر بالفن الاغريقى ؛ ولم يكن للبطالسة من ذلك مناص ، تشبهاً بالفراغة وإرضاء لذوق الشعب المصرى الذى لم تنسه الأحداث السياسية قوميته ، ولم يعجد على مرور الزمن أبطالاً غير أبطاله ، ولم يعرف عنه أنه أسلم القيادة كله للمدينة الدخيلة ، ولا سبها للجانب الدينى منها ، بل بقى محافظاً على دين أجداده محافظة تامة . لهذا ظلت الباني ذات الصبغة الدينية على النمط الفرعونى

تأثر البطالسة بالديانة المصرية أكثر مما تأثر المصريون بالفن الاغريقى ، ولذلك بقيت الصبغة المصرية كما أسلفنا ظاهرة في الفن الذى عرف عن مصر البطليموسى ، إلا فى الاسكندرية ذاتها ، حيث كان كل شيء يونانياً صرفاً ؛ فأقيم فى الاسكندرية في هذا العصر المتحف والملمب والمسرح والديما حيث دفن الاسكندر ، وكانت كلها من غير جدال آية في إبداع الصنعة الاغريقية ، رغم ما يحاول البعض إشاعته من تأخر الفن في هذه الفترة من الزمن والأداة المادية على تقدم الفن الاغريقى في مصر في هذا الزمن ما أبدعته يد نحات لتابوت من الرخام البديع الصنع ما يزال محفوظاً